"خبرٌ يتردّد في البيت والحارة.

تقول إحدى الجارات لأمّي:

- أما سمعت الخبر العجيب؟

فتسألها عنه باهتمام، فتقول:

- توحيدة بنت أمّ عليّ بنت عمّ رجب!
- ما لها كفى الله الشرّ؟
- توظّفت في الحكومة!
- توظّفت في الحكومة؟!
- إي والله. موظّفة تذهب إلى الوزارة وتجالس الرّجال!
- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنّها من أسْرة طيّبة، وأمّها طيّبة، وأبوها رجل صحيح!
- كلام. أيّ رجل يرضى عن ذلك؟
- اللهمّ استرنا يا ربّ في الدّنيا والآخرة.
- يمكن، لأنّ البنت غير جميلة؟!
- كانت ستجد ابن الحلال على أيّ حال.

وأسمع الألسن تلوك سيرتها في الحارة، تعلّق وتسخر وتنتقد، وكلّما لاح أبوها عمّ رجب أسمع من يقول:

- اللهم احفظنا.
- يا خسارة الرّجال!

توحيدة أوّل موظّفة من حارتنا. ويقال إنّها زاملت أختي الكبرى في الكُتّاب. ويحفّزني ما سمعته عنها إلى التفرّج عليها حين عودتها من العمل.

أقف عند مدخل الحارة، أرنو إليها وهي تدنو سافرة الوجه، مرهفة النّظرة، سريعة الخطو، بخلاف النّساء والبنات في حارتنا. وتلقي عليّ نظرة خاطفة، أو لا تراني على الإطلاق، ثمّ تمضي داخل الحارة. وأتمتم مردّدًا كالببغاء:

- يا خسارة الرّجال".

(نجيب محفوظ، من حكايات حارتنا)

نجيب محفوظ:

نجيب محفوظ أشهر كتّاب الرّواية والقصّة العربيّة بلا منازع، ولد (عام 1911م) في حي الجمالية في وسط مدينة القاهرة العاصمة المصريّة. وقد مكّنته موهبته وتجربته الطّويلة من إنجاز عشرات الرّوايات والقصص البديعة التي جذبت جمهورًا واسعًا لصالح قراءة الرّواية والقصّة، وفي عام 1988م مُنح الأديبُ الرّاحل جائزة نوبل للآداب ليكون أوّل أديب عربيّ ينال هذه الجائزة العالميّة الرّفيعة التي أشادت بمكانته ورواياته، واعترفت من خلال هذه الجائزة بمكانة اللغة العربيّة والإبداع الأدبيّ المكتوب بها، شأنها شأن اللغات العالميّة الحيّة.

وفي مسيرته الطّويلة ألّف محفوظ عددًا كبيرًا من الرّوايات النّاجحة، من أشهرها: القاهرة الجديدة، خان الخليليّ، زقاق المدقّ، أولاد حارتنا، اللصّ والكلاب، السّراب، السمّان والخريف، قشتمر. كما اشتهر بما سمّاه النقّاد والقرّاء (ثلاثيّة نجيب محفوظ)، وهي رواية طويلة تكوّنت من ثلاث روايات، هي: بين القصرين، قصر الشّوق، السكّريّة. وتروي قصّة أجيال متتابعة كاشفة خلال ذلك عن التحوّلات المركّبة التي أصابت المجتمع العربيّ وميّزت بين أجياله.

ورغم شهرته في مجال الرواية فقد كتب محفوظ القصة القصيرة ونشر مجموعات كثيرة متميزة منها: همس الجنون، دنيا الله، بيت سيئ السمعة، تحت المظلة، حكاية بلا بداية ولا نهاية، الحب فوق هضبة الهرم، حكايات حارتنا، الشيطان يعظ، رأيت فيما يرى النائم..وغيرها.

نجيب محفوظ واللغة:

اختار نجيب محفوظ دون تردد الكتابة باللغة العربية الفصيحة، رغم الطابع الواقعي والاجتماعي لأكثر أعماله، وتعبيرا عن هذا الإيمان باللغة الفصيحة والموقف الواضح من الكتابة بالعامية يقول محفوظ في حوار صحفي:"أما أني أعتبر العامية مرضا فهذا صحيح، وهو مرض أساسه عدم الدراسة، والذي وسع الهوّة بين الفصحى والعامية هو عدم انتشار التعليم في البلاد العربية، ويوم ينتشر سيزول هذا الفارق أو سيقل كثيرا... وأنا أحب أن ترتقي العامية وأن تتطور الفصحى لتتقارب اللغتان، وهذه هي مهمة الأديب في رأيي.

ولكني مع ذلك لا أحب لهذا الموقف الذي ألتزمه في أعمالي، بناء على رأي أؤمن به، لا أحب له أن يتحول إلى دعوة، فلكل أديب الحرية الكاملة في اللغة التي يكتب بها..".

وقد لاحظنا في قصته التي قرآناها ميله إلى التعبير باللغة الفصحى البسيطة، وعدم استخدام العامية الصرفة، رغم الحاجة إلى اللغة المحكية بسبب كثافة الأجواء الشعبية. وحاول أن يقرّب القصة للتعبير عن جوّ الحارة ومشاغلها واهتماماتها بانتقاء أساليب فصحى قريبة من العامية، أو تقريب العبارات العامية وتفصيحها بشكل مبسّط، ليحافظ على اللغة العربية الفصيحة، وينجح في التعبير عن الجو الشعبي في بيئة الحارة.

فكرة القصة:

ما الفكرة الأساسية التي عبّرت عنها قصة نجيب محفوظ؟

عندما نقرأ نصّاً أدبياً نتساءل عن فكرته أو مغزاه، ولو رجعنا إلى القصة القصيرة التي عرضناها عليك وتساءلنا معك عن فكرتها أو مغزاها، لوجدنا الجواب في شخصية الفتاة العاملة "توحيدة" التي لم ترحمها ألسن أهل الحارة أو الحيّ، فبدأت "تلوك" سيرتها، أي تتداول أخبارها منتقدة جرأتها في الالتحاق بوظيفة حكومية في إحدى الوزارات؛ أي أن القصة تجسّد معاناة الفتاة العاملة في بدايات خروج المرأة العربية إلى العمل، فقد كان المجتمع يمنح هذا الحق للرجال وحدهم، أما المرأة فلم يكن يستسيغ المجتمع خروجها، ويراه مروقاً وتمرّداً وسوء خلق، بل وينظر نظرة سلبية لمن تجرؤ على الخروج مثل الفتاة "توحيدة" التي ليست إلا مثالاً على التضحيات المبكرة في سبيل أن تحقق المرأة ذاتها، وتسهم في خدمة أسرتها ومجتمعها.

اليوم تعمل النساء إلى جانب الرجال في معظم الأعمال، وقد خفتت الأصوات المعارضة لعمل المرأة، ولكن ذلك ليس إلا نتيجة لرحلة شاقة طويلة لم تكن سهلة. خاضت المرأة العربية صراعاً شرساً، وضحّت فتيات مجهولات بسمعتهنّ، وضحّى معهن آباؤهنّ وأسرهنّ، ليفتحن الطريق للأجيال اللاحقة، فلم تكن الطريق مفروشة بالورود، وإنما كانت مزروعة بالشك والشوك حتى وقت قريب.

يمكننا صياغة أسئلة قصيرة تختبر فهمنا للقصة في فكرتها العامة أو أفكارها الجزئية، أو لغتها وأسلوبها الأدبي، من مثل الأسئلة التالية:

التّدريب الأوّل: الفهم والتّحليل من خلال الأسئلة القصيرة:

اختر الإجابة الصّحيحة في ضوء فهمك لنصّ قصّة (من حكايات حارتنا):

السّؤال الأوّل: الفكرة الرئيسية التي عبّرت عنها القصّة هي:

أ. انتقاد الأب لعدم قدرته على منع ابنته من الخروج للعمل.

ب. تصوير فرحة أهل الحارة بأوّل فتاة صارت موظّفة من بنات الحارة.

ت. غيرة الجيران من توحيدة لأنّها وجدت وظيفة في الحكومة.

ث. عدم تقبّل المجتمع لعمل المرأة وكفاحها لتحقيق ذاتها.

السّؤال الثّاني: عبارة (يا خسارة الرّجال) التي تكرّرت في القصّة تدلّ على:

أ. المستوى الأخلاقيّ الرّفيع لأهل الحارة وحرصهم على سمعة الحارة.

ب. سوء أخلاق (عم رجب) وابنته توحيدة فلا يجوز أن تتوظّف البنت في الحكومة.

ت. نظرة أهل الحارة الخاطئة لـ(عم رجب) وعدم تفهّمهم لأهميّة عمل المرأة.

ث. أهل الحارة متأثّرون لأنّهم خسروا (عم رجب) بعد الجريمة التي ارتكبها.

السّؤال الثّالث: في نهاية القصّة جاء على لسان الرّاوي عبارة: (وأنا أردّد كالببغاء: يا خسارة الرّجال)، يدلّ التّشبيه المذكور على:

أ. وصف الراوي صوته بأنّه صوت جميل مغرّد كصوت الببغاء.

ب. انتقاد الرّاوي وعيه القديم وتقليده للآخرين وترديده كلامَهم دون فهم وتفكير.

ت. تأكيد الرّاوي اتّفاقه مع أهل حارته وأنّهم مصيبون في موقفهم من توحيدة وأبيها.

ث. نداء الرّاوي الرجالَ ليوقفوا توحيدة عن العمل، وإلّا فإنّهم رجال خاسرون.

السّؤال الرّابع: عبارة "تلوك الألسنة سيرتها" أي سيرة توحيدة بنت عم رجب، تعني أنّ أهل الحارة:

أ. يتحدّثون معربين عن إعجابهم بتوحيدة وتشجيعهم لها.

ب. يتكلّمون عن عملها وحياتها بشكل محايد دون إساءة.

ت. يذكرونها بالسّوء نظرًا لتقييمهم الخاطئ لإقدامها على الخروج للعمل.

ث. يشجّعون بناتهم على الالتحاق بالدراسة والعمل مثل توحيدة.

السّؤال الخامس: إذا قارنّا بين أحوال المجتمع أيام "توحيدة" قبل عقود، وما وصلنا إليه اليوم في معظم الأقطار العربيّة، فإنّنا:

أ. سنقدّر "توحيدة" ونعدّها من رائدات الخروج إلى العمل بقوة وثبات.

ب. سنقدّر موقف أهل الحارة ونردّد معهم: يا خسارة الرّجال.

ت. سنشارك في النميمة والثّرثرة ضدّ النّساء العاملات.

ث. سننصح الفتيات بالبحث عن (ابن الحلال) بدلًا من البحث عن عمل مناسب.

المعجم والدلالة:

ألفاظ مكانية

تزوّدنا النصوص بمفردات متنوعة حسب أجوائها وموضوعاتها، وتنمو ثروتنا اللغوية ويقوى إحساسنا بالكلمات ودلالاتها واستعمالها كلما دققنا في تلك الكلمات، حتى لو كانت شائعة أو معروفة لنا سلفاً. والآن نريد أن نقف معك عند الألفاظ المكانية التي وردت في القصة، أي الكلمات التي تدل على مكان، وهذه الألفاظ ضرورية في الفنون القصصية التي لا بد أن ترتبط بالمكان، وكثيرا ما يكون تحليل المكان والتركيز عليه محورا هاما من محاور قراءة النص القصصي.

أماكن وردت في القصة:

البيت

الحارة

الوِزارة

الكُتّاب

البيت:

البيت وجمعه بيوت، مكان مألوف، نولد فيه، ونسكنه طويلاً، وعندما نغادره فإنه يسكننا للأبد، نظراً لألفتنا الطويلة له، ويغدو مقياساً لكل البيوت اللاحقة التي قد نقيم فيها إقامات مؤقتة. إنه مكان السكن ومكان الأسرة، فيه يجد الإنسان راحته واستقراره، وإذا ما فقده أو اضطربت علاقته به فإنه سيغدو إنساناً تعيساً، فالبيت أول شروط الاستقرار والسكينة. وصدقت الشاعرة البدوية القديمة التي تزوّجها الخليفة، ولكنها حنّت إلى بيتها الذي لم يكن أكثر من خيمة تتلاعب بها الرياح، وفضّلت الخيمة على القصر المنيف أي القصر الفخم الذي سكنته بعد زواجها، فقالت:

لبيتٌ تخفق الأرياح فيه أحبّ إلي من قصر منيف

الحارة:

الحارة واحدة، وجمعها: حارات. وقد نقرّبها فنعدّها عدة بيوت متجاورة، متقاربة إلى حد ما في عادات أهلها ومستواهم الاقتصادي، كما أنها مكان "شعبي" له قيمه الثقافية واعتباراته وعلاقاته. إنها أوسع من بيت، ولكنها أيضا مكان ضيق بالقياس إلى أمكنة أكبر، كالأحياء الواسعة، أو المدن..وعادة ما يعرف أهل الحارة بعضهم، ويتدخل بعضهم في شؤون بعض، فلا يترك الإنسان لاختياره وحريته، كأن الحارة بيت كبير. وكأن أهلها أسرة ممتدة يعرف بعضهم بعضاً، ويتدخّل بعضهم في شؤون بعض، ورغم كثافة العلاقات الاجتماعية وقوّتها، فيفتقد الإنسان في الحارة شيئاً من حرّيته، وقد يضطر لكثير من المجاملة والمداراة ليتوافق مع ثقافة الجماعة أو أهل الحارة.

الوزارة:

مكان رسمي، يرتبط بالحكومة وأعمالها، ويحتاج إلى موظفين للقيام بأعماله، حسب الحاجة والاختصاص، فهو مكان للعمل والوظيفة، وينال الإنسان أجراً عندما يلتحق به. يصل إليه ويخرج منه بمواعيد ثابتة، وترتبط الوزارة بالحكومة، فمن يعمل في وزارة ما فهو يعمل موظفاً في الحكومة. يغادره المرء يومياً في نهاية العمل، فلا يستطيع أن ينام فيه أو يأخذ راحته كما لو كان في البيت. والحكومة تتكوّن من عدة وزارات، لكل منها مكانها الثابت الذي يقصده الموظّفون والمراجعون. العلاقة بين موظفي الوزارة علاقة عمل، تختلف جذريا عن العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، أو الحارة الواحدة، وهو مكان مفتوح أيضاً لأناس مختلفين يختلطون معا، بثقافات مختلفة، حسب تنوع بيئاتهم.

الكُتّاب:

بضم الكاف وتشديد التاء، تجمع على: كتاتيب، وهو من أماكن التعليم المبكّر قديماً، أشبه برياض الأطفال والمدارس الابتدائية في أيامنا، يتعلم الأولاد وقليل من البنات في الكتّاب مبادئ القراءة والكتابة، وبعض السور القرآنية القصيرة. وقد انتهى وجود الكتاتيب مع تطور التعليم وظهور رياض الأطفال والمدارس في العصر الحديث. ولكنك إذا زرت مدينة تاريخية فيها أحياء قديمة فلا بد أنك ستعثر على ما يشبه الغرف الصفية المسماة كتاتيب. قد لا نستعمل هذه اللفظة في أيامنا، ولكن معرفتها مفيدة لنفهم المراد منها في نص من النصوص التاريخية التي تتحدث عن زمن الكتاتيب كما هو الحال في القصة التي مرت بنا.

التّدريبات: الفهم والتحليل من خلال الأسئلة القصيرة:

تدريب:

في ضوء فهمك للأماكن المذكورة في الفقرة السابقة ولوظائفها ودورها، اختر واحداً من الأماكن المذكورة، واكتب عنه فقرة واحدة تكشف فيها عن معرفتك به أو تجربتك الخاصة معه.

1. البيت: .....
2. الحارة: .....
3. الوِزارة: .....
4. الكُتّاب: .....

مفردات وتراكيب مختارة:

يزودنا النص بمفردات وتراكيب نضيفها إلى استعمالنا، وتتوسّع معرفتنا بها وبدلالاتها. وإلى جانب ما مرّ بنا من الألفاظ المكانية، نقف معك عند الألفاظ والتراكيب التالية:

ابن الحلال:

كانت ستجد ابن الحلال على أي حال.

ما المقصود بابن الحلال؟

هذا تركيب "ثقافي" لا تدل ألفاظه المباشرة على معناه ومدلوله. المقصود أن تجد الفتاة زوجاً ملائماً، طيّباً، فهو بذلك أقرب إلى "كناية" عن الزوج الصالح. وقد يستعمل بصيغة التأنيث فيقال على سبيل المثال:

تبحث أم أحمد لابنها عن ابنة الحلال.

أي عن فتاة طيبة مناسبة لتزوّج ابنها. مثل هذه التعبيرات كثيرة في العربية، وإدراك معانيها ومدلولاتها مفيد في فهم أبعاد اللغة واستعمالها، فلا تُفهم الألفاظ بمعانيها الحرْفية المباشرة.

يحفّز:

يحفّزني ما سمعته عنها إلى التفرّج عليها حين عودتها من العمل.

يحفّز، فعل مضارع ماضيه: حفّز، بتشديد الباء، ومصدره: تحفيز، وأصله أو جذره: حَفَزَ. ثم تطوّر إلى: حفّز، مثل: جمع وجمّع، وقطَع وقطّع، وفتح وفتّح وغيرها. وعادة فإن الصيغة المشدّدة تدل على المعنى نفسه مع التكثير والمبالغة.

ومن سياق الجملة كما وردت في القصة نجد أن معنى حفّز ويحفّز: التشجيع والحثّ والدفع.

يحفّزني ما سمعته عنها إلى التفرّج عليها.. أي: يدفعني ويشجّعني. فالتحفيز مرتبط بالدافع الذي يحثّ الإنسان ويشجّعه على فعل معين.

ونستعمل اليوم مصطلح: حافز وحوافز، كأن نقول:
تمنح الجامعة حوافزَ للمتفوّقين.
أي بعض الامتيازات التي تشجّع على التميز، وتدفع إلى التنافس والتفوق.
أما إذا أردنا المعنى المعاكس، أي الأمور التي تقلل من حماسنا وكأنها تدفع إلى التراجع، فيمكن أن نستعمل كلمة من مثل:
ثبّط، يثبّط، تثبيط
فهي تقريبا ضد حفّز،
حفّز تشجيع ودفع إلى الأمام: حفّزنا الأستاذ على قراءة نجيب محفوظ.
وثبّط تأخير ودفع إلى الخلف: ثبّط الاختبار الصعب اهتمامي بالدراسة.

تدريب:
بعد تفهّمك للألفاظ والتعبيرات السابقة صغ جملاً مفيدة وسليمة تدلّل على فهمك:

1. ابن الحلال: .....
2. يحفّز: .....
3. يثبّط: .....